

عتاب

بقلم محمد قدرى لطفى

لياسنيه في الآداب

كان النبي صلى الله عليه وسلم يود لو أنهم أسلموا ليعتز بهم
 الإسلام ، ويدعو الله أن يهبه من لئنه حكمة لعله يصرّفهم عن
 الضلالة أو يجعلهم من المهتدين ؛ وكان النبي صلى الله عليه وسلم
 حريصاً على إسلامهم ملحاً فيه ، لأن أشخاصهم عند قريش مهيبه ،
 وأسماهم عند العرب رفيعة ؛ فلما دخل عليهم وقد اجتمعوا عنده ،
 حياهم فردوا عليه تحيته ، مخلصين أو غير مخلصين ، ثم أخذ مكانه
 بينهم ، فكان صمت ، وكان جلال رهيب ، ولم يلبث أن سرى
 بين الجمع صوت مهيب ، فيه قوة لأنه صوت الحق ، وفيه إيمان
 لأنه وحى القلب ؛ وكان الصوت متجهاً نحو عتبة بن ربيعة وأخيه ،
 يقول : أما آن يا عتبة أن تدخل أنت وأخوك شية في دين الله ؟
 ما دعوتكما لأمرى ولا لشيء هو من عندي ، وإنما دعوتكما لأمر
 الله رب العالمين ؛ وهذا كلامه بين يدي فاستمعاه واصنيا اليه
 لعله تعالى يهديكما فتكونا من عباده المسلمين . ولكن عتبة
 وأخاه لم يلبثا أن جدلاه فجادلها ، وأخذ النبي منها وأخذاً منه ،
 حتى إذا غلبها الرسول بمنطقه وقوة حجته ، لم يلبثا أن عقد
 الصمت لسأهما ، فالتفت النبي الى العباس بن عبد المطلب وكان
 مصغياً يستمع الى قوله لا بنى ربيعة ، وقال له إنك يا ابن عبد المطلب
 لو اهتديت بهدى الإسلام وأنت من صناديد قريش لاهتدي معك
 جمع كثير ، فلا تكون بصدك عن دين الله حائلاً بين الناس
 والجنة ، ولا تضربن لقريش مشلاً من النبي وأصحابه ، فضل
 وتفضل ، وأنت حري أن يكون لهم منك هاد معين . فلم يرفع
 العباس رأسه ولم تتحرك له شفتان ، وإنما ود لو أن النبي تركه
 الى الوليد بن المغيرة أو الى أمية بن خلف ، فلما شعر النبي أن
 العباس حائر بين عقله وعاطفته ، ورآه مطرقاً الى الأرض ، لم يلبث
 أن تحول عنه الى أمية بن خلف ، قال : يا أمية ، ما كان لسادة
 الناس أن يكفروا بسيد العالمين ، الله الذي فضلهم على عشيرتهم
 وذوي قريام ، وما كان لك أن تكون لقومك قدوة سوء ، لعمرك

من عصبة الأمم ومن مؤتمر نزع السلاح حتى تجاب الى وجهة
 نظرها . وبدأت ألمانيا بالقل بتسليح نفسها رغم احتجاج فرنسا ؛
 ودبت روح جديدة من المنافسة بين الدول في تقرير الاعتمادات
 العسكرية وزيادة التسليحات ؛ وحاولت إيطاليا وبريطانيا غير مرة
 أن تقوم كثنائها بمهمة الوساطة وتذليل الخلاف بين فرنسا وألمانيا .
 فذهبت جميع الجهود سدى . وعقد مؤتمر نزع السلاح في خريف
 العام للماضي في جنوفاً بفيض بالتشاؤم ، وظهر منذ المناقشات
 الأولى أنه يستحيل أن يوفق المؤتمر الى شيء جديد ، فأجل ليتفادى
 الموت النهائي . وعقد هذا العام ، منذ أسابيع قلائل ، وعدنا
 نسمع الحوار العقيم بين مختلف التندوين ؛ وما زالت ألمانيا خارج
 المؤتمر ، وما زالت فرنسا تؤكد إصرارها على تحقيق الضمانات
 المتلقة بالسلامة القومية قبل اتخاذ أية خطوة في سبيل نزع السلاح .
 لقد استمرت هذه الجهود والمفاوضات العقيمة في سبيل نزع
 السلاح أكثر من عشرة أعوام ؛ وربما استمرت حيناً آخر .
 ولكن المحقق أن مؤتمر نزع السلاح صائر الى موت لا ريب فيه ،
 وإنه لم يكن قط أبعد عن غايته مما هو اليوم . ويرجع هذا الفشل
 قبل كل شيء الى موقف فرنسا وألمانيا ؛ فقد جردت ألمانيا من
 سلاحها طبقاً لماهدة الصلح وانتظرت أعواماً طويلة ، وفرنسا
 وبقى الدول نجد في تسليح نفسها ، ولم تتقدم أعمال مؤتمر نزع
 السلاح تقدماً يذكر ؛ وكانت فرنسا باصرارها خلال هذه
 الأعوام هي الصخرة التي تحطمت عليها كل الجهود التي بذلت في
 هذا السبيل ؛ ولكن ألمانيا الهترية جاءت بسياستها العنيفة
 فزادت المسألة حرجاً وتعقيداً ، وألفت فرنسا في تلك الروح
 العسكرية التي يبثها النظام الهتري في ألمانيا ، وفي تلك المظاهرات
 - العنيفة التي تجري في ظله ، وفي ذلك الوعيد الذي يلقيه زعماء
 ألمانيا الحاليين هنا وهناك ، ما يبرر موقفها في التمسك بسياستها
 العسكرية والمطالبة بتأمين سلامتها ضد الخطر الألماني .

وهكذا بينما يمضي مؤتمر نزع السلاح في جدله العقيم ، اذا
 بالمنافسة في التسليح بين الدول العظمى تبلغ ذروة الاضطراب ،
 ولذا سياسة المعاهدات السرية العسكرية تعود فتفتدو سبيل التوازن
 الأوربي ، واذا بشبح الحرب يلوح بين آونة وأخرى ؟

محمد عبد الله عثمان
 المحامي

لا يضيق بشيء ولا يتبرم بسوء؟ وشعر النبي يخرج لم يدر ما هو ولا من أين أتاه ، فقد كان عند أمر ربه يؤدي الرسالة في صدق وأمانة ، لم يدع سييلا لهداية القوم إلا سلكها ، أو باباً إلى قلوبهم النليظة إلا طرقة ؛ ولم يلبث النبي إذ خلا لنفسه أن أحس بما يحس به حين يريد الله أن يبعث إليه بمحدث أو ينزل عليه شيئاً من آية ، وإذا الوحي له لا للمسلمين ، وإذا القول له لا للمشركين ، وإذا الله عاب عليه يقول إنه : « عيسى وتولى أن جاءه الأعمى » ويقول له « وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنتفه الذكري ، أما من استغنى فانت له تصدى وما عليك ألا يزكى » وإذا ربه يلومه ويقول في لومه « وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى ، كلا إنها تذكرة » . عند ذلك ذكر النبي قوم قريش وما كان بينه وبينهم من حديث ، وهتف هاتف كأنه عمرو بن قيس يقول : أقرئني وعلني مما علمك الله ، وتصور النبي حال الرجل يسأل وليس من مجيب ، ويقف وليس من يأذن له بالجلوس ، ولكنه لم يكن يدرى أنه أساء إلى الرجل أو قصد إلى إساءته ، فليس النبي من يسئ إلى أحد ، وليس النبي من يصد عن الناس بله عن السائلين ، وإنما شغله أمر ربه فاشتغل عن عمرو وأقبل على سادة قريش ، فألماه حرصه على إسلامهم وهم كفرة عن أسلم ، وإنما يريد أن يقرأ وأن يستزيد من العلم . وبات النبي ليلته مسهد الجنين قلقاً ، يفكر فيما سمع من ربه ، وفيمن عبس بالأمس في وجهه ، وأعرض عنه ، حتى إذا طلع الفجر كان النبي يتمس ابن أم مكتوم يلقيه هاشا باشا ، يسلم عليه ويشد على يده ويقول له : مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ؛ وكان النبي يلقيه بعد ذلك فيكرمه ويسأله حاجته ، وكأنما أراد الله أن يصبح إعراض النبي عنه إقبالاً عليه ، وأن يفدو عبوس النبي في وجهه بشاشة له وإرتياحاً لقائه ، وإذا عمرو ابن قيس مؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا عمرو بن قيس خليفة رسول الله على المدينة ، استخلفه النبي عليها مرة أو مرتين ، وإنما استخلفه عليها في غزواته ثلاث عشرة مرة ، وإذا النبي يخرج إلى حجة الوداع فلا يستخلف على المدينة إلا عمرو ابن قيس . وكان حقاً قول المصطفى : أدبني ربي فأحسن تأديبي ما محمد فردي لظني

ليس بعد الكفر ذنب . وما ينبغي لك أن ترغب عن دعوة الله وتصد قومك عن الدين بأعراضك عنه . قال يا محمد أمهلني يوماً أو بعض يوم ، فإن الأمر أعسر عندي من يسره لديك . واتجه الرسول إلى أبي جهل بن هشام وكان يجلس بجوار الزيد بن المفيرة ، فقال لها وقد دنا منها : أيجز لكما أن تسبقا الناس في الدنيا حتى إذا كانت الآخرة كتبنا آخر الناس عند الله ؟ ، والله مالكما في الحسب غناه ، وما كتبنا لتجملنا رضي الشيطان في عصيان الله . ولكن أبا جهل لم يكن ليسبز كما صبر العباس ، أو يسكت كما سكت ، وإنما جادل النبي في عنف ، فجادله النبي في لين ، وآزر أبو جهل الحدة ، ولم يكن النبي ليحتد . واتجه الرسول إلى القوم جاداً في دعوتهم ، ملحاً في إقناعهم ، بمنهم بالعود يوم الدين ، ويحذرهم عاقبة الكفر يوم القيامة ، وأخذ النبي بفيض عليهم من بيانه ، وشجع على القوم قبساً من إيمانه ، حتى أقبل الكل عليه يستمعونه ويصفون إليه ، وبينما النبي يدعوهم فينصرف إلى الدعوة بكل إيمانه ، كان يسئ إليه رجل يتوكأ على عصاه يتحسب بها الطريق إليه حتى إذا بلغ مجلس النبي لم يستمع إليه ولم يلق بالآ إلى قوله ، ولم يدر أن النبي يدعو صناديد قريش إلى ما دعا الله ، وإنما بادر النبي يسأله أن أقرئني وعلني مما علمك الله ؛ وكان النبي عنه في شغل ، وكان ضيوف أسبي قد تلهوا عنه بما هم فيه ، فلم يتفت إليه أحد ، ولم يرد عليه مجيب ؛ فقال أقرئني وعلني مما علمك الله ، فلم يكن حظه في الثانية خيراً منه في الأولى ، والرجل واقف في مكانه لا يرم ، ملح في طلبه لا يسأم ، فأخذ يصيد ، وطلق يكرره ، حتى كره النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع عليه الحديث ، وأي حديث ، أو يلقى عليه قول ولما يتبته من قوله ، فعبس في وجه الرجل وأعرض عنه ، ولم يلبث النبي أن انصرف القوم من عنده ، فيهم الذي أوشك أن يقتنع ، وفيهم الذي مازال متبرماً بالدعوة ساخطاً ، وفيهم الذي ذكر على الرسول قوله ، وفيهم الذي يجب أن يترث في الأمر فلا يقطع فيه برأى ؛ وكان النبي قد ظن أنه بالغ منهم في يومه ما لم يلفه في أمسه ، وأنه لا بد اليوم مقنهم حتى يسلموا ، فلم يدر بعد ذهابهم ماذا أخذ عليه نفسه وقد كانت معه وله ؟ ولا كيف ضاق صدره وقد كالب راسنا